

سابقاً - نتجت عنه اتفاقية تضمنت القبول بالوعد^(٨٠).

غير ان المعارضة الفلسطينية العامة للوعد بدأت منذ السماع به، وباشكال متعددة، على الرغم من تفسيرات الشريف حسين التموهية. وما ان اعلن الجنرال بولز الوعد رسمياً في القدس، العام ١٩٢٠، حتى عمت التظاهرات الاحتجاجية المدن الفلسطينية كافة، وبدأت الاصطدامات الدموية في العام ذاته^(٨١).

وطيلة فترة الانتداب البريطاني على فلسطين، الذي امتد حتى منتصف ايار (مايو) ١٩٤٨، لم يترك الفلسطينيون وسيلة الا سلكوها في معارضة الانتداب ثم وعد بلفور. فمن آلاف البرقيات والعرائض الاحتجاجية الراضة للانتداب والوعد، الى مؤتمر الصلح، ثم الى ادارة الانتداب، والى الحكومات البريطانية، وبعدها الى عصبة الامم، وهيئة الامم، الى الاضرابات التي امتد بعضها الى ستة شهور العام ١٩٣٦، الى التظاهرات، الى الثورات والانتفاضات الدموية التي كان أبرزها ثورة ١٩٣٧ - ١٩٣٩. لكن كل هذه الوسائل المتاحة لم تستطع ان تلغي الوعد والانتداب، ولم تستطع ان تحول دون قيام اسرائيل. ولعل أبرز عاملين وراء هذا الفشل هما دور بريطانيا أبان فترة الانتداب، الذي اتخذته فرصة لتشييد كيان الاغتصاب بقوة ودهاء؛ ثم تطبيق اتفاقية سايكس - بيكو واستفراد فلسطين بمعزل عن محيطها الطبيعي الخاضع مباشرة اما لبريطانيا واما لفرنسا أو بصورة غير مباشرة بعد استقلال هذا المحيط الوهمي قبل عام النكبة ١٩٤٨، وعدم تمكن هذا المحيط من لعب أي دور قومي فاعل.

ازدواجية النص والتطبيق

يمكن، بسهولة، ملاحظة ان اسلوب صياغة وعد بلفور قد تعدد فيه واضعوه الاقتضاب، وتحاشي التفاصيل، والاعتماد على العبارات المطاماة البعيدة من الدقة والتحديد والوضوح، حتى لكأن الغموض كان مقصوداً بذاته، للتمويه والخداع، لكي يسهل، فيما بعد، تفسيره وفق اجتهادات متميزة تماماً، كما حدث بالنسبة الى مشروع كارادون ٢٤٢ المقدم الى مجلس الامن، بعد حرب العام ١٩٦٧.

اذن، قاد هذا الغموض المتعمد كلاً من الفلسطينيين والصهيونيين والبريطانيين الى تفسيرات متناقضة. «لقد فهم اليهود من هذا الوعد انهم اصحاب البلاد، وان العرب ليسوا الا دخلاء، ولكن ثقلاء، والاضيقوا، ولكن على غير الريح».

«... اما العرب، فقد فهموا من هذا الوعد بقرينة ما فهم اليهود منه، وبقرينة ما قامت به الحكومة من الاعمال في سبيل انشاء الوطن القومي. ان هذا الوعد يجردهم من حقوقهم السياسية»^(٨٢).

كما تضاربت التفسيرات البريطانية في تفسير بعض كلمات النص، لما يقصد، مثلاً، بعبارة «وطن قومي». «فاريك فوريس آدم، خبير وزارة الخارجية البريطانية في الشؤون الفلسطينية، قدم مذكرة رسمية في كانون الأول [ديسمبر] ١٩١٩، بين فيها ان الحكومة قبلت بفكرة تحويل فلسطين، في النهاية، الى دولة يهودية. ولكن خبير الوزارة الآخر، هارولد نيكلس، قال ان بلفور لم يفكر بدولة يهودية مستقلة، وانما بملجأ لليهود اوروبا الشرقية. وفي العام ١٩٢٢، صدر كتاب ابيض حدد مفهوم الوطن القومي بأنه لا يتضمن فرض الجنسية اليهودية على بقية الشعب، وانما يرمي الى ايجاد مركز يهودي في فلسطين... وفي حديث تشرشل لوجهاء فلسطين عام ١٩٢١ اشار الى وجود فرق لغوي كبير بين 'اقامة وطن قومي'، كما ذكر الوعد، واقامة 'الوطن القومي'، مما يستبعد فكرة اقامة حكومة